

## محاضرة الابحاث الاثرية الفرنسية في شمال افريقيا :

ان الاهتمام بفترة ما قبل التاريخ قد بدأ مع نهاية القرن التاسع عشر ، فقد ظهرت أولى الاكتشافات في مطلع القرن التاسع عشر وتمثلت في بقايا بشرية وحيوانية، وقد سميت هذه الفترة في البداية باسم عصور ما قبل الطوفان، وفي سنة 1843 اقترح الباحث كلیم klemm ثلاث مراحل حضارية، هي: مرحلة التوحش ومرحلة الانصياح ومرحلة الحرية، وبعد ثلاثين عام قام مورغان morgan بتقسيم البشر في كتابه الشهير المجتمع القديم الى عصر التوحش وعصر البربرية وعصر الحضارة .

وفي منتصف القرن التاسع عشر نشر داروين كتابه أصل الانواع فحدث ثورة بين الباحثين وساهم بشكل كبير في تسارع الخطى نحو تحديد معالم عصر ما قبل التاريخ، وتزامن ذلك مع توالي الاكتشافات والابحاث في الكهوف الفرنسية والاسبانية ، وفي ذلك الوقت اقترح بعض الباحثين مثل لارتيه lartet وغابريل دي مورتيه G De Mortillet، والقس هنري بلاوي تقسيمات مختلفة لفترة ما قبل التاريخ .

وفي تلك الفترة التي كانت تتم فيها الابحاث في كامل مناطق القارة الاوربية بدأ الحديث عن بقايا العظام والحجارة التي عثر عليها في الكهوف، وظهرت مقالات تعالج إشكالية ظهور الإنسان، واكتشفت حفريات بشرية مع أدوات حجرية وبقايا حيوانات منقرضة، وأصبح الأمر واضحا بالنسبة للباحثين الذين حددوا الأطر العامة لعلم في ما قبل التاريخ.

## تاريخ الابحاث الاثرية :

إذا كانت الابحاث قد بدأت مبكرا في أوروبا فإنها تأخرت قليلا في الجزائر في ظل الاحتلال، فرغم أن الفرنسيين انشئوا " لجنة البحوث العلمية والتاريخية" سنة 1838 الا انها اهتمت بالآثار الرومانية والنقوش اللاتينية، كما أن معظم الذين قاموا بها كانوا

غير مختصين فهم اما عسكريين او هواة مع قلة قليلة من المختصين، ومنهم: فرويد L. Féraud، بيسون De Boysson، فايدهارب Faidherbe، ليتورو A. Letourneux، باربوجي Berbrugger، ريبود Reboud، بروينات ...Bourguignant

وفي فترة لاحقة ظهرت الجمعيات العلمية مثل "الجمعية الأثرية لقسنطينة"، و "الجمعية التاريخية للجزائر" التي أنتجت "المجلة الإفريقية"، ثم بعد ذلك ظهرت "أكاديمية هيبون" بعنابة، وبعد ذلك بمدة قصيرة ظهرت "الجمعية الجغرافية والأثرية لمقاطعة وهران" كما أنشأ متحف باردو سنة 1880 وهذه الجمعيات استمرت في النشاط إلى غاية الاستقلال.

وفي بداية القرن العشرين كان "ستيفان جزال" St. Gsell على رأس البعثة الأثرية وقد نشر الكبير من الكتب عن الجزائر في العصور القديمة، ثم قام بعد ذلك "سوفيل" G. Souville بدراسة مواقع ما قبل التاريخ في الجزائر في أطلس اثري سنة 1956 وواصل العمل بعده "بيار كادينات" Pierre Cadenat .

وبعد ذلك أجريت تنقيبات أثرية في الدولمان والبازينات والجثى وهي مقابر تعود لفجر التاريخ وما قبل التاريخ، قام بها كل من "موريس ريغاس" M. Reygasse و"ديبورج" A. Debrugge ودور Le DuR و"رافيو" P. Roffo و"مارشاند" Marchand وغيرهم، وفي سنة 1909 قام "بول بلاري" P. Pallary باكتشاف موقع المويلح في الغرب الجزائري الذي يعود للحضارة الايبيرومغربية، وفي ذلك الوقت كان "ريموند فوفري" Raymond Vaufrey هو أكثر الباحثين في ما قبل التاريخ فقد قام بأبحاث مختلفة في الشمال والجنوب.

وفي ذلك الوقت كانت هناك حاجة لتخصيص ابحاث اكثر لما قبل التاريخ في الجزائر فأنشأ كرسي لهذه الدراسات في كلية الآداب التي تحولت الى جامعة، وكان "موريس ريقاس" M. Reygasse و "ليونال بالو" L. Balout هما اللذان يشرفان على الابحاث الاثرية، وقد قام هذا الاخير بإنشاء مخبر للأبحاث في ما قبل التاريخ على مستوى متحف باردو والذي اصبح ابتداء من سنة 1955 مركز للبحث في الانثروبولوجيا وما قبل التاريخ والاثنولوجيا بالجزائر.

### الابحاث بعد الحرب العالمية الثانية :

بعد الحرب العالمية الأولى انفتح طريق البحث بفضل أعمال بول بلاري و"موريس ريقاس" و"القس بروي" و"هنري هيجو" و"ابراميار" Obermaier، ولكن كانت الأبحاث لا تزال عشوائية وغير منظمة ليس في الجزائر فقط بل في فرنسا أيضا، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية تم إنشاء مؤسسات تُعنى بتطوير البحوث، وكانت أولى المؤسسات التي ظهرت في سنة 1939 هي المركز الوطني للأبحاث العلمية في فرنسا CNRS الذي يتجه خاصة للبحوث في مناطق الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث قام الكثير من الباحثين الذين ينتمون لهذا المركز بأبحاث في الجزائر، كما أنشأ مخبر الانثروبولوجيا وما قبل التاريخ لغرب البحر المتوسط LAPMO برئاسة غابريال كامس الذي خلف ليونال بالو في الاشراف على دراسات ما قبل التاريخ بالجزائر.

وفي هذا الاطار يذكر "ليونال بالو" أن أبحاث ما قبل التاريخ قد أصبحت أكثر تنظيما بعد 1949 عندما تأسس مخبر الأنثروبولوجيا وأثار ما قبل التاريخ الذي اتخذ من متحف باردو بالجزائر مقر له، وكانت المخبر ينشر أعماله بشكل دوري بعنوان دراسات في الانثروبولوجيا وما قبل التاريخ، فقد نشر في سنة 1951 دراسات حول الهيكل العظمي المكتشف في مشتى العربي بقسنطينة سنة 1912، وبعد ذلك نشرت

أبحاث حول موقع أفالو بورمال ببجاية تتضمن هياكل عظمية اكتشفت هناك من طرف هـ. فالوا. H. Vallois .

ومع مرور الزمن امتلأت أروقة متحف باردو بالآثار التي عثر عليها في مناطق مختلفة من الجزائر، فقد اكتشف "م . شانبو" M. Chainpault آثار في تابلبالة ، بينما اكتشف "أرامبورغ" M. Arambourg مواقع في عرق تيهودان بمنطقة تيوريين، بالإضافة إلى أبحاث أخرى قام بها "بيار كادنة" Cadenat و"هنري هوجو" Hugot و"تيكسي" Tixier... وغيرهم، وفي ذلك الوقت اكتشفت نقوش صخرية في منطقة جرف التربة ببشار وكان ذلك في سنة 1949.

وقد كانت سنة 1951 حافلة بالاكتشافات فقد اكتشف موقع المويلح الذي يعود للحضارة الأيبرومغربية وموقع تغنيف بمعسكر الذي اكتشف به هيكل عظمي للإنسان المعتدل كما أكتشف موقع بحيرة كركار، وقد قام "ليونال بالو" بأعمال بحث في عين دوكاره بتبسة، بينما قام "اقويرو" aguinaro بأبحاث في وادي ساردياس وهو موقع يعود للحضارة العاترية، و"تيكسي" M. Tixier قام بأعمال بحث في موقع الهامل ببوسعادة، وفي نفس الوقت تم اكتشاف مواقع بالعاصمة والمدية التي كان تعرف باسم شاملان Champlain من طرف الباحث "جون شافيون" Jean Chavaillo كما اكتشفت مواقع في برج بوعريريج وتبسة.

وفي 1952 قام فريق بحث سويسري بزيارة مواقع ما قبل التاريخ في شرق الجزائر خاصة في تبسة، وفي نفس السنة قام "ستيفان جيزال" بنشر جزء عن ما قبل التاريخ في الأطلس الأثري الذي أنجزه عن الآثار في الجزائر، وبين سنوات 1954 و1956 قامت الباحثة "كاميل أرامبورغ" C Arambourg باكتشافات في موقع تغنيف بمعسكر حيث عثرت على بقايا لثلاث هياكل عظمية تتضمن أسنان للإنسان المعتدل، كما قام "جون شافيون" هو الآخر بدراسة في العاصمة والمدية، وقام

"يافي كوبنس" Y. Coppenst و" فيليكس قوتي" باكتشافات في شمال إفريقيا وفي الصحراء.

وامتدت الابحاث الى الصحراء فقد قامت "هانزيت أليمان" بأبحاث في الساورة واكتشفت نقوش صخرية في بني عباس، في الوقت نفسه قام "بلغيرون" Blanguernon باكتشاف نقوش في الهوقار، وقام "هنري هوجو" باكتشاف رسوم صخرية ومواقع أثرية للحضارة العاترية في التيديكلت بأدرار، وفي الوقت الذي كان هنري هوجو يقوم بأبحاث في التيديكلت كان "هنري لوت" يقوم باكتشاف مواقع الفن الصخري في الطاسيلي والهوقار ونشره في العالم.

ومن الواضح أن معظم الأبحاث حول ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا كانت تتم على يد الفرنسيين، فقد بدأت منذ مطلع القرن العشرين وحتى قبله ومكنت من اكتشاف مواقع أثرية تعود إلى أقدم الحضارات الإنسانية كحضارة الحصى المشذبة في عين الحنش وفي رقان وفي أولاف و"تان كانا" قرب عين أمناس، كما اكتشفت مواقع تعود الحضارة الأشولية في تغنيف...، وأجريت حفريات عديدة في مواقع للحضارة العاترية والايبرومغربية والقفصية مثل وادي الجبنة ومواقع بسطيف وأم البواقي وقسنطينة وبوسعادة...